

بنو عبس

بنو عبس^(١)

نسبهم - تاريخهم - بعض مشاهيرهم - بلادهم ومنازلهم - بقيتهم

نسب عبس وتاريخهم :

عبس هى القبيلة العريقة التى نجلت عنزة وأنجبته ، وهذا ما يدعونا فى هذا الكتاب إلى إيراد نسبها وتحقيق منازلها وتاريخها قديماً وحديثاً .

ينبؤنا التاريخ أن قيس عيلان هو الأصل الثانى من أصلى مضر العظيمين . إلیاس بن مضر وبنوه ويعرفون ببني خندف ، ومنهم كنانة ، وقيم ، ومزينة ، وهذيل وغيرهم ، والناس بن مضر ويعرفون بقیس عیلان ، ومن هؤلاء غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، وهى قبيلة لها شهرة كبيرة عند ظهور الإسلام ، وقد انحازت إلى قريش فى حروبها مع النبى صلى الله عليه وسلم^(٢) .

وكانت ديار هذه القبيلة مجاورة للمدينة « يثرب » فى الجهة الشرقية الشالية فى الحار

(١) راجع : مختصر جمهرة النسب - نسخة معهد المخطوطات فى الإدارة الثقافية ، بجامعة الدول العربية ، الصورة عن نسخة راغب باشا ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،

وابن حزم / جمهرة أنساب العرب - نشر دار المعارف ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

وياقوت الحموى / المختضب من جمهرة النسب - نسخة دار الكتب المخطوطة فى عهد المؤلف ورقة ٤٨ ،

وابن خلدون / العبر وديوان المتبدأ والخبر ح ٢ ص ٣٠٦ .

وعبد الله البكرى / معجم ما استعجم ص ١١٧٨ - طبعة ثانية .

وياقوت الحموى / معجم البلدان ، الطبعة الأوربية لاحتوائها على فهرس بأسماء القبائل .

وأبو الحسن الأصبهاني المعروف بلفدة / بلاد العرب - مخطوط - ص ١٠ نسخة الأستاذ حمد الجاسر .

وشهاب الدين النويرى / نهاية الأرب ح ٢ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

والبتانوى / نهاية الرحلة الحجازية - الطبعة الثانية .

وأحمد بن محمد الأشعري / اللباب إلى معرفة الأنساب - مخطوط - نسخة الأستاذ حمد الجاسر . واليهامة - المجلد الثانى ، وبحث الأستاذ حمد الجاسر .

وأبو عبد الله بن سعد / طبقات ابن سعد ، وعبد الله بن هشام / سيرة ابن هشام .

وابن قتيبة / المعارف ص ٣٦ ، ٣٧ .

وفؤاد حمزة / قلب جزيرة العرب ص ١٨٤ ، ١٨٥ - م السلفية

ومحمد العربى بن التبانى الجزائرى / محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب مطابع الشمولى القاهرة ص ٦٨ .

(٢) أبو عبد الله بن سعد / طبقات ابن سعد : غزوة الأحزاب ح ٣ ص ١٠٨ الطبعة المصرية ، عبد الله بن هشام / سيرة

ابن هشام غزوة الأحزاب .

والأودية الواقعة فيما بين المدينة وبين فَذَك (وتصرف في عهدنا باسم الحائط والحويط) وخير منساحة إلى الشرق على ضفاف وادي « الرُّمة » الذي ينحدر من المرتفعات الواقعة شرق المدينة وشمالها ، ومنتشرة على روافد هذا الوادي من الأودية التي تأتيه من الشمال ومن الغرب .

ومن فروع غطفان : بنو عبد الله ، ولا يزالون يعرفون باسمهم هذا ، ويحلُّون قرب منازلهم القديمة ، غير أنهم ينتسبون الآن لقبيلة « مطير » حيث زال الاسم القديم « غطفان » .

وبنو ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان - ومنهم الشاعر النابغة الذبياني ، وبقيتهم انحازت إلى بني ذبيان من جُهيَّنة فدخلت فيهم .
وبنو عيس بن بغيض بن ريث بن غطفان^(١) إخوة بني ذبيان .

بعض مشاهيرهم :

من مشاهير قبيلة ، عيس : زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عيس ، الذي لم تقتصر سيادته على عيس ، بل شملت غطفان كلها ، وابنه قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء ، والربيع بن زياد فارس غطفان ، وإخوته الذين يقال لهم الكملة لاكتمال صفاتهم ، وعروة بن الورد الشاعر ، ومروان بن زنباع . ولزهير بن جذيمة أيضاً إخوة نبلاء عرفوا بالشجاعة وعلو الصيت ، ومساور بن هند بن قيس بن زهير الشاعر . ومنهم : عنتره وسيأتى الحديث عن نسبه فيما بعد ، والحطيئة وهو جرول بن أوس بن مالك بن جوية بن مخزوم ، ومنهم : خالد بن سنان بن غيث بن مريطة بن مخزوم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : « نبي ضيَّعه قومه »^(٢) . ومنهم في صدر الإسلام : قرّة بن حصين بن فضالة بن الحارث بن زهير ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم داعياً للإسلام إلى بني هلال بن عامر فقتلوه ، ومنهم : حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل ، ومن منجبات نسايتهم : ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير ، أم الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان .

ديار عيس ومنازلهم :

كانت ديار بني عيس في بلاد قبيلتهم « غطفان » ، إلا أن الحروب التي حدثت بين فروع هذه القبيلة وأشدّها « حرب داحس والغبراء » دفعتهم إلى النقلة عن مواطنهم القديمة دفعا ،

(١) أبو الفرج الأصبهاني / الأغاني ج ٨ ص ٢٣٣ .

(٢) أبو عبد الله بن سعد طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦٢ .

وهى كما يحددها البكرى فى معجم ما أستعجم بين أبانين والنقرة وماوان والريذة^(١).
أما هذه المواقع حديثاً فتفصيلها ، أن « أبانين » جبلان فى غربى القصيم يسمى أحدهما « أبان الأسود » والثانى « أبان الأبيض » ، ولا يزالان يعرفان باسميهما فى هذا العهد ، وأما « النقرة » فمنهل من مناهل المتوجه من شمال نجد إلى المدينة ، وتبعد عن المدينة فى الجهة الشرقية مسيرة ثلاثة أيام للإبل .

وأما « ماوان » فواء فى واد يعرف بهذا الاسم بقرب ماء النقرة التى كثيراً ما تضاف إليه . ثم آنسأخوا مشرقين حتى استقروا فى « القصيم » تاركين أبانين الجبلين الواقعين شرق بلادهم القديمة غرباً ، يفصل بينهم وبين بلاد قومهم - بنو أسد .

قال الحسن بن عبد الله الأصبهانى المعروف بلغدة فى كتاب « بلاد العرب » : وفوق ذلك أبان الأبيض لعبس ، وأبان الأسود لبنى أسد ، وبه عين أجراها محمد بن عبد الملك بن حبيب الفقعسى ، وأسفل من أبان الأسود غير بعيد هضبة يقال لها « محياة » لبنى أسد^(٢) ، والرمة واد يمر بين أبانين يستقبل مطلع الشمس ويحيط من المغرب ، وهو أكبر وادٍ معروف بنجد ، وأسافل الرمة ، ينتهى إلى القصيم رمل لبنى عبس ، وفيما بين الرمة من وسطها فوق أبانين وبين الشمال أكمة يقال لها : الخيمة : بها ماءة يقال لها : الغبارة لبنى عبس ، وبين الرمة حذاء أكمة الخيمة ماءة يقال لها : الظهران ، وقرية يقال لها : الفوارة بجنب الظهران^(٣) بها نخيل كثير ، وعيون للسلطان ، وحذاؤها ماءة يقال له : المقنعة لبنى حشر من عبس ، وفيما بين الفوارة والمغرب جبل يقال له : المشاحاذ والجثوم وذو فرقين وصحير وتياسان - علمان كلاهما يسمى تياسا - وهذا كله فى خط بنى عبس ، وأسفل من ذلك فيما يلى المشرق الجريز وادٍ لبنى أسد ، به ماءة يقال لها : الجريرة بفرغ فى ثادق ، وثادق وادٍ ضخم يصب فى الرمة أعاليه لبنى أسد ، وأسفله لبنى عبس وهو الذى ذكره عقبة بن سوداء فقال :

ألا يا لقومى للهؤم الطوارق وربع خلا بين السليل فشادق
وطين جرت بين الغميم وجيجرى بصدع النوى والبين غير مفارق

والغميم وادٍ ، وجيجرى ماءة فى واد يقال له : ذو جيجرى لعبس ، وهى فيما بين قطن الشمال وبين جيجرى .

(١) البكرى / معجم ما استعجم ض ١١٧٨ ، الطبعة الثانية .

(٢) ولا تزال معروفة باسمها الآن .

(٣) البكرى / معجم ما استعجم ص ٨٦٤ .

وعندما نتتبع معجمات الأمكنة لنبحث عن حدود ديار عبس نجد أن منها :
 في الجنوب « إمرة » وهي المنزل الثالث للحجاج في العهد القديم ، من عنيزة حينما
 يتوجهون إلى مكة ، كما نجد البكرى حينما يحدد حمى ضرية يذكر أنه دخل فيه من شق بني
 عبس ستة أمواه ، ونجد من جبال هذه القبيلة في الجهة الغربية من ديارها جبل قطن الذي
 يقول فيه أحد الرجاز :

أين انتهى بي يا بن صمعاء السنن ليس لعبس جبل غير قطن
 وجبل أبان الأبيض .

ومن الناحية الشمالية ، وادي « أثال » ويشاركهم فيه أناس من بني أسد و « ضلفع » .
 ومن الشرق تمتد ديارهم إلى رمل زرود المتصل برمل عالج « من الدهناء » .
 ومن ناحية الجنوب تقرب من إقليم السر .
 وعلى هذا فديارهم تحد :
 غرباً بجبلى أبانين وجبل قطن ويدخل هذا فيها .
 ومن الشمال بأطراف القصيم الشمالية .
 ومن الشرق بالرمال الواقعة شرق القصيم .
 ومن الجنوب بإقليم السر .
 ومن الجنوب الغربي « إمرة » و « كير » وحدود « حمى ضربة » .
 وإن فنمازهم هي ديار القصيم ونواحيه يجاورهم شالا وغربا بنو أسد ، وشرقا بنو تميم ،
 وجنوبا بعض قبائل قيس عيلان من غنى وبني عامر وغيرهم . قال زيد الخيل الطائي :
 ونحن الجالبون سباء عبس إلى الجبلين من أرض القصيم^(١)

ولاشك أن من الإشكال واللبس الذي يعترض الباحث حينما يحاول تحديد منازل بني
 عبس ، إنه يجد في شعر عنتره أسماء مواضع كثيرة ومتعددة خارجة من هذا التحديد ، فيجد فيه
 « الشربة » بالشين المفتوحة المشددة بعدها راء مفتوحة مهملة فباء موحدة تحتية مشددة فتاء
 التأنيث ، وهذه هي الأرض الواقعة بين وادي الجريب والرمة ، والجريب^(٢) ينحدر من غرب
 نجد وجنوبه ، متجهاً صوب الشمال الشرقي حتى يصب في وادي الرمة فوق بلاد القصيم ،
 وهذا في الحقيقة قرب بلاد بني عبس التي حاولنا تحقيقها وتحديدها ، وليس ببغيد أن تكون من

(١) ويقصد بالجبلين هنا جبل أجأ وشلمى ويقصد الشاعر بهذا يوم القصيم لطي على بني عبس .

(٢) الجريب : يعرف في عهدنا الحاضر باسم الجريز وأعلاه وادي المياه .

منازلهم قبل انحدارهم إلى القصيم حينما كانوا مخالطين لقبيلتهم غطفان ، ومجاورين لها ، ولكن هناك مواضع أخرى كثيرة بعيدة جدا عن هذه الجهات ، ويزيل هذا الإشكال أمور ثلاثة هي :

أولاً : أن شعر عنتره - كغيره من شعراء الجاهليين - دخله كثير من الشعر المصنوع ، ولهذا فلا يمكن الجزم بأن كل المواضع المذكورة فيه هي من بلاد بني عبس .

ثانياً : أن الشاعر كثيراً ما يورد في شعره أسماء مواضع بعيدة عن بلاده ، بل كثيراً ما جمع بين موضعين أحدهما في الشرق والآخر في الغرب في بيت واحد كـ « الدخول وحومل » في قول امرئ القيس ؛ فالدخول في جنوب نجد هضاب كبيرة معروفة في طريق المتوجه إلى وادي الدواسر ، وحومل كئبان من رمل متراكم تعرف الآن باسم « بنات حومل » مطلة على توضح الروضة الواقعة في طرف السهبا شرق الخرج ، وتلك الكئبان من الناحية الشرقية الشمالية عن توضح المعروفة الآن باسم « التوضحية » .

ثالثاً : أن بعض تلك المواضع قريبة من منازل بني عبس في العهد القديم ، ومؤلفو معجمات الأمكنة يخطئون خطأ حينما يريدون تحديد منازل القبائل ، لأنهم غالباً ما يعولون على كلام الشعراء ، فإذا رأوا موضع ورد في شعر شاعر نسبوا ذلك الموضع إلى قبيلة ذلك الشاعر ، كما أنهم في حالة تحديدهم للمنازل العربية القديمة لا يلاحظون تحول القبائل وتنقلها من موضع لآخر ، فتجدهم مثلاً يعدون من منازل عبس مواضع في الحجاز ، ويعدون من منازلهم أمكنة أخرى في شرق نجد ، فيقع الباحث بهذا في بידاء لا طرف لها ولا صوى يهتدى بها حينما يعوزه البحث .

بقية عبس :

لقد بقى علينا أن نذكر شيئاً عن بقية هذه القبيلة التي كانت تعد في العهد الجاهلي من « جمرات العرب »^(١) فانطفأت .

يرى العلامة ابن خلدون في تاريخه^(٢) : أن بني عبس انتقلوا من نجد ولم يبق فيه منهم أحد ، وهذا وهم منه رحمه الله ، فكثيراً ما يقول في تاريخه عن كثير من القبائل بأنها أنتقلت إلى المغرب ولم يبق منها أحد في بلادها القديمة ، كما قال عن « عدوان » و « باهلة » وغيرها ، والصحيح أن القبائل العربية تداخلت وامتزج بعضها ببعض ، وانضم كثير منها إلى من مجاورها

(١) أبو الفيض الزبيدي / تاج العروس ، شرح القاموس « ج ٣ ص ٧٠٧ - محمد بن حبيب المعبر » .

(٢) ابن خلدون / المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٣٠٦ .

من القبائل أو يماثلها في الاسم^(١) ، وزالت العصبية القبلية من كثير منها بسبب ضعفها وسيطرتها قبائل أخرى أقوى منها عليها ، وكل هذا يصدق على قبيلة بني عبس ، فقد انضم قسم منها إلى قبيلة جهينة فاندمج فيها ، وبقي قسم في منازل القديمة غير محتفظ بميزاته القبلية القديمة لضعفه ، وفي بلدان القصيم أناس من بقايا عبس ، كما أن في أطرافه الغربية في « المحجناوى » ، وفي أبانين أناس يدعون هتيماً هم في الغالب من بقية بني عبس .

وقد ذكر اليتانوفى المصرى^(٢) : أن قبيلة عبس كانت إلى القرن الثامن الهجرى قوية ، فاعتدت على جاراتها فنقم العرب عليها وأوقعوا بها وشتت شملها ، ثم ضعف أمرها وذكرها باسم هتيم ، ولا أدري من أين أتى بهذا ، إلا أن له وجهاً من الصحة : فهتيم تحمل جانباً من بلاد عبس في الحاضر ، وهى - وإن كان العرب ينظرون إليها نظرة ازدراء واحتقار - لها من الصفات والأخلاق الكريمة ما ينظمها في عداد القبائل العربية العريقة في الحسب ، وينبغى أن يلاحظ أن ليس لكل من انتسب إلى هتيم هذه الصفات ، فإن هذا الاسم يطلق على كل وضع من الناس كما قال ابن المقرب الأحسانى (من أهل القرن السابع الهجرى) :

فإن هتيماً لو حوت ما لهاشم هتيم فلا يفررك طيف خيال
سترجع فيما عودت من حميرها وتحريق « أشنان » وخصف تعال

إلا أن هؤلاء الذين يحلون منازل عبس وتمتد ديارهم إلى الحرار الشرقية من الحجاز بقرب الحائط والحويط وخيبر ، ذوو شرف وكرم وشجاعة وصفات عربية أصيلة امتازوا بها عن هتيم الآخرين .

وفي قبيلة جهينة فخذ ينسب إلى عبس ، كما أن في جازان ونواحيه قبيلة كبيرة تسمى بهذا الاسم ، إلا أنها ليست من عدنان ، بل هى قحطانية النسب ثم من خولان . وليس من المستبعد أن بقايا من عبس انضمت إلى جهينة ، كما انضم إخوتهم ذبيان إليها . أو إلى عبس الخولانية ، وتوافق الأسماء بسبب التداخل بين القبائل ، ولهذا أمثلة كثيرة ليس هذا محل إيرادها . كما أن لعيس تاريخاً جاهلياً يجد الباحث طرفاً صالحاً منه في « أيام العرب » ، أورده النويرى ، وابن الأثير ، وابن عبد ربه ، ومؤلف الأغاني أبو الفرج الأصبهاني . وقد أتينا على ذكر شيء من ذلك في معرض الكلام عن حرب داحس والغبراء التى نشبت بين عبس وذبيان .

(١) الحسن بن يعقوب المنداق / صفة جزيرة العرب ص ٩٠ الطبعة الأوربية .

(٢) محمد ليبب اليتانوفى / الرحلة الحجازية ص ٥١ .

ولعبس كذلك تاريخ إسلامي^(١) ، ولكنير من أفرادها أخبار في الفتوحات الإسلامية في العهدين الأموي والعباس مدونة في التواريخ المطولة ، وهذا يحمل على القول بأن قبيلة عبس قبيلة معرقة ذات تاريخ مجيد .

(١) راجع خبر وفاة بنى عبس على الرسول ﷺ في « طبقات ابن سعد » ج ٢ ص ٦١ المطبعة المصرية - وفي « كتاب عيون الأثر » لابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٥٧ .
وقد أورد الأستاذ فؤاد حمزة في كتابه « قلب جزيرة العرب » ص ١٨٥ : أن من أفخاذ وعشائر عبس مطولة ، وناصير الغريرة ، وكفرا ، ورنف ، وشعار ، وخزارة ، وقطمية ، وبطارية ، ومواقع .